

عَوَائِقُ التَّلَقِّيِّ العَرَبِيِّ لِنظريَّةِ الحجاجِ في اللُّغةِ
(العَوَائِقُ المُتعلِّقةُ بِالنظريَّةِ وَصاحبِها مَثَلاً)

م.م. مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ كَامِلٌ عَبَّاسٌ أ.م.د. سَعْدٌ عَبْدُ الحُسَيْنِ فَرَجٌ اللهُ

كُلِّيَّةُ الآدَابِ / جَامِعَةُ البَصْرَةِ

Mohammed.kamel@uobasrah.edu.iq

الملخص:

إنَّ تَلَقِّيَ البَاحِثِينَ العَرَبِ لِنظريَّةِ (الحجاج في اللُّغة) ظلَّ يعاني الأزمات والويلات؛ التي جاءت نتيجة كثرة الإشكاليَّات المتأتمية من العوائق المعرفيَّة، ومع هذه الأزمات الإستمولوجيَّاً وجدنا إقبالاً من الباحثين على تطبيق النظريَّة دون مراعاة أسسها النظريَّة؛ نتيجة السير على هدي المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف اللُّغة، وتحليلها في ضوء النظريَّة، ولم نجد دراسة عُنيَت النَّد اللِّسانيَّ للنظريَّة.

تحاول الدراسة بالانكاء على منهج النَّد اللِّسانيَّ تسليط الضوء على عوائق التَّلَقِّيِّ العَرَبِيِّ المُتعلِّقة بالنظريَّة وصاحبها، بوصفها عقبات معرفيَّة تُعكِّر فعل التَّلَقِّيِّ وتخلق إشكاليَّات نظريَّة وأخرى تطبيقيَّة تُشوِّه عمليَّة التَّلَقِّيِّ.

توصَّلت الدراسة لخمسة عوائق، تبدأ بإشكاليَّة الأصل المعرفيَّ للنظريَّة، وتنتهي بتخلِّي ديكرو عن نظريَّته، على أنَّ هذه العوائق نسبيَّة يختلف تأثيرها من باحث إلى آخر، ولكنَّها مُجمعة قد أربكت بنية المُتلَقِّيِّ العَرَبِيِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: (عوائق التَّلَقِّيِّ، نظريَّة الحجاج في اللُّغة، التَّلَقِّيِّ العَرَبِيِّ، العوائق المُتعلِّقة بالنظريَّة).

Obstacles to the Arabic Reception of the Pilgrims' Theory in Language

(Obstacles related to the theory and its author as an example)

M.M. Mohammed Ali Kamel Abbas

Prof. Dr. Saad Abdel Hussein Farag Allah

College of Arts / University of Basra

Abstract:

The Arab researchers' reception of the theory (Al-Hajjaj in language) has been suffering crises and woes, which came as a result of the large number of problems resulting from cognitive obstacles, and with these epistemological crises, we found a demand from researchers to apply the theory without taking into account its theoretical foundations, as a result of following the path of the descriptive analytical approach, through

the description of language, and its analysis in the light of the theory, and we did not find a study that meant linguistic criticism of the theory.

The study tries to rely on the approach of linguistic criticism to highlight the obstacles to Arab reception related to the theory and its owner, as cognitive obstacles that disturb the act of receiving and create theoretical and practical problems that distort the process of reception.

The study found five obstacles, starting with the problem of the cognitive origin of the theory, and ending with Decroux's abandonment of his theory, although these obstacles are relative and their impact varies from one researcher to another, but together they have confused the structure of the Arab recipient.

Keywords: (Obstacles to reception, Hajjaj theory in language, Arabic reception, obstacles related to theory).

تمهيد:

تتعلق هذه العوائق بنظرية الحجاج في اللغة وأصحابها ديكرو، أي أنها تتعلق بالركن الأول والثاني من أركان عملية التلقي؛ فالأول يتمثل بالنص، وهو المدونة الكلامية التي ينبغي تلقيها، لأن التلقي يعتمد على النصوص، إذًا؛ فالنص المتمثل بالنظرية هو نواة تلقي الباحثين العرب وهدفهم، ولولا وجوده لنعدم فعل التلقي، فلا تلق دون نص. وأمّا الثاني، فيتمثل بمؤلف النص وهما: (ديكرو وأنسكومبر) اللذان قاما بفعل الإبداع وإيجاد النص، فيكونان على وعي وإدراك لعملية الإبداع في سياق خاص يسهم في تشكّل النص، وبعد أن ظهر الأخير لحيز الوجود، يبدأ دور المتلقي في عملية التلقي.

وسنحاول عرض العوائق المتعلقة بالنظرية وأصحابها في سياق كونها تُعيق فعل التلقي، فهي بعد ذاتها تُعد أزمة في عملية تلقي الباحثين العرب لها، وهذه الأزمة التي تشكّلت تتمثل بمجموعة من العوائق المعرفية والمنهجية التي سعت لإعاقة فعل التلقي، وهي:

المطلب الأول: الأصل المعرفي للنظرية

ننتقل في عرض هذا العائق من فرضية مفادها: إنَّ هناك إشكالية في الأصل المعرفي التي تقوم عليه النظرية، وإنَّ هذا الإشكال يستلزم الإعاقة لفعل التلقي.

إنَّ دراسة الأصل المعرفي للنظريَّة باعتبارها عائقًا من عوائق التلقي سيُدخلنا في البحث الإبيستمولوجي، ويتطلب منَّا التَّعرُّف على مصطلح الأصل المعرفي، وبعد ذلك بيان الأصول المعرفية للمعرفة البشرية؛ حتى نصل إلى الأصل المعرفي لنظريَّة الحجاج في اللُّغة، فالأصل المعرفي إنَّما هو الأساس المعرفي الذي تتكئ عليه النظريَّة في تكوينها ونشأتها، والأصول المعرفية بشكل عام أربعة هي:

١. الأصل المعرفي الحسيّ.

٢. الأصل المعرفي العقليّ.

٣. الأصل المعرفي الكشفيّ.

٤. الأصل المعرفي الدينيّ أو الوحيانيّ^(١).

فأي معرفة تنشأ من هذه الأصول هي معرفة بشريَّة، وقد اختلف فيها، فالحسيُّون لا يرون طريقًا للمعرفة إلا الحس والتجربة، والاتجاه العقلي المشائي لا يرى للمعرفة طريقًا إلا العقل، والاتجاه الكشفي لا يرى أفضل من الإشراق وتزكية النفس طريقًا لكشف الحُجب والاطلاع على الحقائق، وحاول بعضهم التوليف بين الاتجاهات ليصل لفلسفة تجمع الاتجاهات جميعًا^(٢).

وبعدُ، فإلى أي أصل معرفي ترجع نظريَّة الحجاج في اللُّغة، بالتأمل يرى الباحث أنَّ هناك أصلين لها، الأول هو الأصل الحسيّ، فنظريَّة الحجاج في اللُّغة تتطلب مُتكلِّمًا ومُتلقيًا يدخلنا في عمليَّة حاجيَّة عن طريق اللُّغة الاستعمالية المُتداولة في الحياة اليومية، فاللُّغة ظاهرة اجتماعية ونفسية محسوسة، وهذا يفضي إلى السمع والبصر والتكلُّم. أمَّا الأصل الثَّاني، فهو العقليّ؛ لأنَّ المتكلم يُعبر عن رؤيته وفهمه وإدراكه لصورة العالم، وهذا جانب عقلي مُرتبط بالفعاليات العقلية، ((والحجاج نشاط عقليّ كذلك، ليس فقط بمعنى أن العقل هو الملكة التي تضطلع بابتكار الحجج وتركيبها معًا، والقادرة على اختبارها نقديًا والعمل على تنفيذها، بل كذلك باعتباره المرجعية التقويمية التي يستحضرها المحاججون في نقاشاتهم، وهي مبادئ المعقولة التي يرتضون الاحتمام إليها))^(٣)، ففلاسفة اللُّغة العاديَّة - غالبًا - ما يحاولون تحليل اللُّغة؛ بغية فهم العالم الحسي لا المجرد؛ لأنَّ الحقيقة هي التي تقدم معرفة محسوسة للعالم، وبذلك أنكروا العالم المجرد، فهم يرون علاقة اللُّغة بالعقل علاقة ماديَّة مرتبطة

بالخلايا والأعصاب. وما دفعنا لهذا المراجعة الفلسفية هو أنّ اللُّغة موضوع مشترك بين فلسفة اللُّغة ونظرية الحجاج في اللُّغة، فكلاهما يدرس اللُّغة المستعملة باعتبارها موضوعاً لها، وهذا التوجه الجديد في ((فكّ الارتباط بين المنطق والرياضيات، سوف يوسع من مدلول المنطق، ويخفف من الطابع الصوري للدراسات المنطقية، وبالتالي سيسمح بالحديث عن نماذج أخرى من الاستدلال، وعلى رأسها الاستدلال الحجاجي الذي تمثل اللُّغة الطبيعية أدواته الأساسية))^(٤)، لكنّ فلاسفة اللُّغة يدرسون اللُّغة بوصفها وسيلة من أجل إدراك العالم والحقائق وحل المشكلات الفلسفية التي عانت منها الفلسفة المطلقة عبر مسارها التاريخي الطويل، وتُمثّل اللُّغة إشكال الفكر الفلسفي باعتقادهم^(٥)؛ على أنّ نظرية الحجاج في اللُّغة قد ارتبط ظهورها بظهور بوادر المنعطف اللغوي الذي يُشير عموماً إلى الاهتمام باللُّغة، الذي بدأ في منتصف القرن التاسع عشر وعلى مدار القرن العشرين، والحديث عنه يعني بالضرورة حديثاً عن تحول من طريق إلى آخر، لذا كان لا بدّ من معرفة الجديد الذي طرأ على القديم.

ويتفق المهتمون بـ (المنعطف اللغوي) عموماً على أنّ الجديد يتمثل في مجموعة الاتجاهات اللسانية التي تميّز فهم طبيعة اللُّغة، ووظيفتها، ودورها، وطرائق عملها في الفلسفة الحديثة^(٦)، من هنا تغيّر موضوع الفلسفة، فإذا كانت الفلسفة المطلقة تبحث عن الوجود من أجل إدراك الحقيقة، فلسفة اللُّغة تبحث عن اللُّغة العادية اليومية من أجل إدراك الحقيقة، ف((اللُّغة العادية صحيحة تماماً، وأنّ الصعوبات الفلسفية _وهي في أساسها صعوبات لغوية_ لا تنشأ بسبب خطأ في اللُّغة بل بسبب الوصف الخاطئ والتكريب الخاطئ لها من جانب الفلاسفة. وعلى ذلك فإنّ تحقيق النجاح الفلسفي _وهو هنا أيضا فهم المشكلات وحلها_ إنما يكون بتحديد الطريقة التي يتم بها استخدام لغتنا في الواقع))^(٧)، وهذا التصور الجديد في فهم موضوع الفلسفة؛ ((إثر اللقاء الذي حصل بين الدرس المنطقي والدرس اللغوي مع نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠، ستصير اللُّغة خاصة مع فريجه، موضوعاً أساسياً للدراسة المنطقية، بعدما كان المنطق يعتبر مجرد تقنية للاستدلال السليم))^(٨)، وهذا التغيّر في موضوع الفلسفة من الوجود إلى اللُّغة، ومن ثمّ إلى اللُّغة العادية يؤدي إلى إشكال معرفي، فاللُّغة العادية هي التي ستُعبّر عن الواقع المُعبّر عنه بالحقيقة، ف((فهم الإنسان لذاته ولعالمه يتركز في المقام الأول على اللُّغة، فهي التي تُعبّر عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة

التحليلية واتجاهاتها))^(٩)، وهذا تصور مغلوطن؛ ف((الواقع أوسع وأشمل من دائرة اللُّغة؛ بمعنى أن هناك حقائق وواقعيات لا يمكن التعبير عنها باللُّغة العادية أو غير العادية مثل اللُّغة الرياضية الرمزية. فهناك حقائق وواقعيات يكتشفها الإنسان العارف عن طريق المعرفة الشهودية الحضورية لا يمكن أن يعبر عنها بلغة من اللغات؛ لذا يستخدم أهل المعرفة في بعض الأحيان لغة المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه لبيان مقاصدهم))^(١٠).

والتعبير باللُّغة العادية عن الحقيقة سيفضي إلى تعبير المجتمع العادي عن الحقيقة أيضًا، بل سيكون مصدرًا لها؛ لأنَّه هو مَنْ يستعملها، وهذا ما تسعى إليها الفلسفة الحديثة بالاشتغال عليه والتنظير له؛ وذلك نتيجة البُعد المادي والمزاج الفردي؛ في سعيها لهدم البُعد الميتافيزيقي الماورائي، ودعوتهم إلى ((ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، وخصوصًا جانبه الميتافيزيقي))^(١١)، وهذا سيفضي لضرب الأخلاق والدين والفلسفة المطلقة - التي بذل أرسطو حياته من أجل إيصال الناس إلى الحقيقة-، وهذه الفلسفة خالية من المعنى؛ لذا استبعدها فلاسفة التحليل في ضوء الفلسفة التحليلية التي يتبنونها؛ ذلك أنَّ القضايا عندهم ((إمَّا تحليلية، كقضايا العلوم الرياضية -وهي تحصيل حاصل- أو تركيبية كقضايا العلوم الطبيعية التي تنبئ عن علم جديد يتطلب التثبت من صحته اختبارًا تجريبيًا، وما عدا هذين النوعين من العبارات، يعتبر ... كلامًا فارغًا لا يحمل معنى يمكن أن يوصف بالصدق أو الكذب))^(١٢).

من هذه المنطلقات الفلسفية - الخطيرة جدًا على الفكر البشري - انبثقت تيارات لسانية حديثة يُصطلح عليها بالتداولية، ويُحيل هذا مصطلح إحالة مباشرة إلى النظرية التي تدرس اللُّغة في الاستعمال؛ وهو تيار لساني يقوم بدراسة النشاط اللساني وعلاقته بمستعمليه، والمنهج الصحيح في استعمال العلامات اللسانية بنجاح، مع مراعاة السياق الذي يُنجز فيه الخطاب، ما يجعله رسالة تواصلية تتسم بالوضوح والنجاح^(١٣)، ولعلَّ أبرز التيارات التداولية هي نظرية أفعال الكلام، التي بدأت إرهاصاتهما مع لودفيغ فيتجنشتاين، ثم قال بها صراحة جون أوستن، وبعدها تطورت مع سيرل، وأشار جون أوستن إلى أنَّ هناك ثلاثة أفعال في الفعل الكلامي الواحد، وهي (فعل القول، وفعل الإنجاز، والفعل التأثيري)، وأضاف ديكرود فعلي الاقتضاء والحجاج؛ فقد ((وجد ديكرود نفسه بين تيارات متصارعة، فلسفة المنطق وفلسفة اللُّغة العادية، تداولية المدرسة الذرائعية في مقابل دلالة المدرسة البنيوية))^(١٤)، وهذا الحال قد

أفضى إلى ظهور نظرية لسانية هجينة عند ديكرو، و من ثم شكّلت النتيجة التي خلّصت إليها نظرية أفعال الكلام الأصل اللساني في تكوين نظريته الحجاجية، فقد آمن أنّ الملفوظ الحجاجي إنجازاً لصورة محددة من الفعل الكلامي من ناحية كونه إنجازاً قولياً مُدمجاً بالبُعد القصديّ المحدّد، وهذه هي حقيقة التلفظ - عنده - الذي يتكفل به المتكلم وتكون آثاره جلية في الملفوظ الذي يُكونه هذا الفعل؛ الأثر دفع ديكرو لجعل القول مُنطبعاً في المقول^(١٥)؛ زيادة على ذلك، فإنّ نظرية أوستن كانت قد واجهت عائقاً إبستمولوجياً يعود إلى عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية، فحاول ديكرو أن يحول دون هذا العائق، ومن هنا برزت نظرية الحجاج في اللغة^(١٦)، أمّا تأثير سيرل في النظرية فقد بدا بصورة واضحة - عنده - في إدخاله فعل القصدية في البعد الحجاجي؛ ولمّا كان أصل الفعل الحجاجي مُنطقاً من قصد المتكلم؛ صار لزاماً على اللغة أن تتجه نحو الوظيفة الإقناعية التأثيرية الحجاجية لا الوظيفة الإخبارية فحسب؛ وهذا ما يؤكد فرضية أنّ الحجاج مفهوم جوهرى مُسجّل في بنية اللغة ذاتها، لا أنّه مرتبط بالمحتوى الخبري للملفوظ؛ وهذا ما دفع صاحب النظرية لربط التسلسلات الحجاجية للخطاب بجوهر اللغة وبنيتها، لا بمحتواها الإخباري، وجاء هذا التوجه الجديد لديكرو نتيجة لتأثره بأفكار إميل بينغوينيست^(١٧)؛ لارتباط ظهور النظرية بكتابه الخاصة بذاتية اللغة^(١٨)، أضف إلى ذلك مشروعه الخطابية الذي يرى فيه أنّ الخطاب: ((هو كلّ تلفظ يفترض متحدثاً ومستمعاً، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال))^(١٩)، إنّ الخطاب وإن كان يستلزم مُتكلماً ومُتلقياً، ولكن ليس كلّ خطاب يستلزم نية التأثير في المتلقي، فبعض الخطاب قد يكون إخبارياً، وبعضه الآخر قد يكون وصفيّاً تعجبياً تعبيرياً، على أنّ المتكلم لو تعجّب أو أخبر وأراد التأثير بالمتلقي عدّ ذلك حجاجاً.

إذاً، تُعتبر هذه المقاربة من المقاربات التي ((تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحركة في تسلسل الأقوال وتتابعها، حيث تنطلق من الفكرة التي مفادها " إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير))^(٢٠) ويرجع أول تجلٍ نصي لهذه المقاربة إلى كتاب (السُّلميات الحجاجية) الذي ألفه ديكرو ونشره عام ١٩٨٠م، ويُمثل هذا المنجز العلمي بدايات النظرية، وما لبث أن طورها مع تلامذته كجان كلود أنسكومبر، الذي ألف بمعيته كتاب (الحجاج في اللغة) ونُشر عام ١٩٨٣م، لكنّه لمّا يرّ النور بعد في ترجمته للغة العربية^(٢١)، ولا يخفى على الباحث اللبيب أنّ هذه النظرية كان له وجود في

بداية السبعينات من القرن العشرين^(٢٢)، غير أنه كان وجودًا ذهنيًا ولفظيًا، و لم تُبصر النور في وجودها الكتابي إلا مع بداية الثمانينات في السُّلّميات الحجاجية. والخلاصة من ذلك مله أن المشكلات التي تضرب الأصل المعرفي للنظرية كان من أهم العوائق التي تُعيق عملية تلقيها؛ ذلك أن النظرية مخرومة الأصل في جانب اللغة العادية التي تشغل عليها، ولا طائفة من تلقيها، وهذا حال المُتلقّي العربي في تعاطيه مع هكذا نظرية.

المطلب الثاني: القيمة المعرفية للنظرية

ننتقل في عرض هذا العائق من فرضية مفادها: إن القيمة المعرفية لهذه النظرية ليست هي القيمة الكبرى، وإن تراجع قيمتها يستلزم الإعاقة لفعل التلقي؛ إذ شكّلت القيمة المعرفية لهذه النظرية عائقًا يُعيق عملية التلقي، فالمتلقي العربي عندما يحاول الاطلاع على هذه النظرية في محاولة تلقيها والتعريف بها في الثقافة العربية، سيتأمل كثيرًا عندما ينظر إلى أهم المبادئ والأسس النظرية المتعلقة بقيمتها المعرفية.

ومصطلح القيمة المعرفية يُداول في الأبحاث المعرفية كثيرًا، لكن دون وضع حد جامع مانع؛ إذ لم يقف الباحث على تعريف له، لكن هناك إشارات تحاول توضيحه، إذ يُشير إلى أن للمعرفة قيمة كما للأخلاق والجمال قيمة، ف ((قيمة المعرفة تُشكّل المحور الأصيل لمباحث علم المعرفة، وسائر المسائل تُعتبر من مقدمات هذا الموضوع أو توابعه))^(٢٣).

وبعد إثبات القيمة للمعرفة، كان ضابط تحديدها هو درجة اليقين، الذي يتمثل بالكشف عن حقيقة الواقع، وكلما اقتربت المعرفة من اليقين، اقتربت من كشف الواقع المُعبر عن الحقيقة، وكلما اقتربت من كشف الواقع زادت قيمتها، والعكس صحيح؛ لذا ((تتمثل قيمة المعرفة إجمالاً في مدى درجة اليقين الذي تصل إليه إدراكاتنا تصورًا كانت هذه الإدراكات أم تصديقًا، أو بمعنى آخر في مدى إمكان كشف المعرفة عن الحقيقة))^(٢٤)، واليقين هو ((الاعتقاد الكاشف عن وجه الواقع من بين المعنقات))^(٢٥)، وهذا يستلزم ثبات المحمول للموضوع مع عدم زواله، وصدق مطابقته للواقع، وعدم حدوث الإمكان في نقضه، مع لزوم حصول اليقين ذاتًا لا عرضًا^(٢٦).

إذًا، فالقيمة المعرفية مفهوم اعتباري، يُعبر عن درجة اليقين الكاشف عن حقيقة الواقع، فكلمًا كشفت المعرفة عن الواقع زادت قيمتها، والعكس صحيح، ومن ذلك نستنتج أن القيمة المعرفية مُتعلّقة بموضوعها وهو الحقيقة، المُعبر عنها بالواقع، سواء أكان خارجيًا أم داخليًا.

إنّ المتابع لنظرية الحجاج في اللغة سيقف على البُعد الاحتماليّ الظنيّ النسبيّ للنظرية، فهذا ديكرُو يُصرح بالبُعد الاحتماليّ الظنيّ للحجاج بقوله: ((لقد درج البعض على قول إنّ الخطاب الذي يسري في الحياة اليومية لا يمكنه أن يُنشئ براهين... هذا ما صرح به أرسطو حين جعل البرهان الضروري ينماز به عن القياس، في مقابل الحجاج المخروم ذو الطابع الاحتمالي فقط))^(٢٧)، فالحجاج في اللغة قائم على الاحتمال والظن، وأية حجة تخرج عن هذا الأساس النظري ستخرج من مجال اشتغال الحجاج، ف((نسبية الحجاج... من المبادئ التي تقوم عليها نظرية الحجاج في اللغة))^(٢٨)، إذًا، فالحجاج في اللغة ذو بُعدٍ مشكّك يتصف بالنسبية وعلى مرونة وتدرُّج بسياق تخاطبيّ، وهو على خلاف مع الاستدلال المنطقي الذي يتصف ببعده الرياضي، وهذا ما يفضي إلى الحتمية والإطلاق^(٢٩)، إنّه ((ليس خطابًا برهانيًا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح(Valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية))^(٣٠)، وإذا ما أخذنا بهذا المثال: (إنّ المغاربة أفارقة)، (محمد مغربي)، فهو يُؤدي إلى نتيجة هي: (محمد أفريقي)، وهذه نتيجة يقينية؛ لأنّها قياس منطقي حتمي وضروري، ولكن لو قلنا: (انخفضت درجة البرودة)، وهذا يُؤدي إلى نتيجة من قبيل: (ستمطر السماء)، وهي نتيجة احتمالية تدخل في مجال حجاج أو الخطاب الطبيعي غير برهاني الذي يستلزم استنتاجًا احتماليًا^(٣١)، ((ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلي وأوقع في النفس))^(٣٢)، فموضوع الحجاج في أحد تصوراته هو المغالطات؛ إذ إنّ عدم التصور العلمي الدقيق لموضوع الحجاج قد شكّل عائقًا في عملية التلقّي الصحيح للنظرية، ما أفضى إلى إشكاليّات معرفية في فهم الأسس والمبادئ النظرية له، زيادة على ذلك، مقارنة مفاهيمه النظرية؛ ومن ذلك أنّ تحديد موضوع الحجاج خاضع لتيارات لسانية متنوعة، وأنّ طبيعة الموضوع تتعدد وتتعدد بتنوع المقاربات اللسانية المعتمدة في تلك التيارات؛ على أنّ الرؤية المنهجية للمقاربة هي

من تحدد الموضوع، و((إن موضوع الحجاج يتطور - من دون شك - بسرعة أكبر مما تتطور النظرية. فنمو اللغة، وصيغ التواصل، والقيم أيضا، التي كانت لها أهمية كبرى في الحجاج، جعلت منه مادة حية))^(٣٣)، وبعد، فالتواصل اللساني القائم على المغالطات بكل تشكلاتها قام موضوعا للحجاج؛ إذ كان للمغالطات الأثر الكبير في فعل الإقناع المتمثل بالحجاج؛ لأن الحجاج في حقيقته غير قائم على المنطق والحقيقة؛ إذ إنه يعتمد على معايير جدلية، فالقيمة التأثيرية والتسليم والإذعان بالحجج المعروضة من قبل المتكلم هي المعيار في قوة الحجاج وليست الحقيقة، والحجاج لا يدعو إلى الحقيقة، بل إلى الوهم والاحتمال^(٣٤)؛ ((وهذا ما يفسر كون الحجاج مفتوحا على احتمالات شتى بما أنه لا يقدم حقائق مطلقة))^(٣٥)؛ لذا كان لابد من مقارنة القبول بالحجج، وأسس هذا القبول مقارنة معرفية؛ ذلك أن المتلقي يقبل بعض الحجج، ويرفض بعضها، وعملية قبولها ورفضها قائم على منطق إقناعي يؤثر على سلامة فكره وقواه النفسية من تأثر هذه الآليات التي توهمه، وتجعله يساير الأوهام.

ويلاحظ الباحث أن هذا الأساس يقلل من القيمة المعرفية لهذه النظرية، لأنها منوطة بمطابقتها للواقع واليقين، فكما اقتربت النظرية من اليقين زادت قيمتها المعرفية، والعكس صحيح. لقد مثل تراجع القيمة المعرفية لهذه النظرية عائقا من العوائق التي تُعيق المتلقي العربي في تعاطيه مع نظرية يشوبها إشكال في قيمتها المعرفية؛ ولا سيما أن المتلقي العربي ذو بنية معرفية تتسم بالقيم العقلية - المنطقية الفلسفية -، التي من شأنها أن تُزيح كل نظرية تتعارض وقيمتها المعرفية؛ وأن حالة الاستعداد لدى المتلقي العربي لتقبل النظرية منوط بالاستجابة التي تظهر في تعاطيه مع ما تحكي عنه النظرية، وإيمانه بالقيمة المعرفية لها، وحصول الاستجابة غير ممكن إلا بشرط إدراك المتلقي لأهمية النظرية ودورها الريادي في المعرفة اللسانية، مع إقراره بقيمتها المعرفية، وعظيم أثرها في إمطة اللثام عن الحقيقة، الكاشفة عن الواقع، والجايلة للحجاج قيمة في سير قيم التواصل الإنساني المنتج للحقيقة.

المطلب الثالث: التحوّلات السريعة المتكثّرة في تأريخ النظرية

ننتقل في عرض هذا العائق من فرضية مفادها: إن هناك تحولات كبيرة وسريعة رافقت النظرية منذ ظهورها وإلى أوقولها، وإن هذه التحولات تستلزم الإعاقة لفعل التلقي.

إن نظرية الحجاج في اللغة أكثر نظرية لسانية في القرن العشرين شهدت تحولات وتطورات غيرت ملامحها، إذ لا مناص من وجود نظرية لا تطرح إشكالا، غير أنه ليس مألوقا للمتلقي العربي

اللساني يواجه نظرية إشكالية كنظرية ديكر و تلامذته، فهي مجموعة زبقيّة من الأسس النظرية التي لم يستقر لها حال كيفما وضعت، فهي تخلق الإشكاليات أكثر من خلقها للحلول؛ وذلك مرده إلى البعد الهجين في بنيتها، بُعد يُحيل على التداولية التي تراعي السياقات الخارجية، وبعُد على البنيوية التي لا ترى إلا بنية النص منهاجاً لها، ومع هذا الصراع بين هذين البعدين المختلفين بنية ووظيفة، شكلاً ومضموناً، توهجت نظرية الحجاج في اللغة، والمتلقي الذي لم يفهم هذا الأصل اللساني الذي بُنيت عليه لا يمكنه أن يتلقاها ويستوعب مشاكلها^(٣٦)، فلا تبدو هذه النظرية مختزلة في تصور من التصورات، بل هي النظرية المتفرعة في أبعادها، حتى أنّ ديكر و زميله ما برحا يعدلان عليها ويطوران أسسها ومفاهيمها وعناصرها؛ في إطار النقد الذاتي، فسنة المعرفة البشرية هي التطور؛ ويترتب على ذلك الصعوبة بالإمام بها^(٣٧)، ((فهي تتغير وتتبدل مع رياح النقد ومشاكل المدونة))^(٣٨)، فالكثير من مفاهيمها تتغير وتتبدل؛ وذلك راجع لفلسفة ديكر و أنسكومبر في ((المراجعة النقدية للدراسات اللغوية السابقة، وخاصة تلك التي أنجزت في النصف الأول من القرن العشرين، ولا يزال تأثيرها مستمراً إلى الآن))^(٣٩)، فقد أدرك صاحبها أنّه بين اتجاهات متباعدة قد لا يربطها رابط قويم، فهو بين فلسفة المنطق وفلسفة اللغة العادية من جهة، وبين تداولية والبنيوية من جهة أخرى، لا بل وجد نفسه بين الإنشائيات في مقابلتها بفعل القول؛ لذا صار الاتجاه التوفيقي بينها أمراً لا بد منه، فقد أدرك حقيقة توجهه الوسطي، فلا سبيل لتترك فلسفة المنطق الذي تربي فيها، وكذا لا يمكن ترك التيار البنيوي المسيطر على البنية المعرفية في اللسانيات في أوروبا وفرنسا^(٤٠).

وهذا النّكون المعرفيّ لنسق النظرية انعكس عليها سلّبا، فكثرة تطوراتها نتيجة حتمية لتلك النشأة، فعلى سبيل المثال نرى أنّ مقارنة ديكر و لبعض مفاهيمه الأساسية التي يشتغل عليها في نظرية الحجاج في اللغة قد أخذت تصوراً مختلفاً، فمفهوما الحجة والنتيجة بالنسخة الأولى للنظرية عبارة عن أقوال فقط، ولكن ما لبثا أن تطورا عند ديكر و وتلاميذه الذي عكفوا عن تعديل النظرية وتطويرها، فأعطيت لها دلالة واسعة ومجردة، حتى أصبحت الحجة عبارة عن عنصر دلاليّ يقدّمه المُحدّث؛ لخدمة عنصر دلاليّ ثانٍ، بل أنّ الحجة قد تأتي في هذا السياق بصورة قول أو فقرة أو نص، و قد ترد بصورة سلوك غير لفظي^(٤١)، وتتعلق إشكاليات النظرية بالأصل من تعددية المصطلح الذي يدلّ على مفهومها، ((ودون مبالغة تذكر لا توجد نظرية اتسمت بهذا الفيض من التسميات؛ وهو فيض ناتج في الحقيقة

عن موقع النظرية بين بين))^(٤٢)، من جانب آخر لقي جوهر النظرية اعتراضات متعددة تخص فرضياتها الأساسية عن جوهر الحجاج في اللغة من لدى لسانيين ك(ربير مارتان) و(أنطوان كولولي) و(فرانسوا ريكاناتي)، وهذا ما دفع ديكرو لاستدعاء مفهوم الموضع الحجاجي، ولكن بفهم يختلف عن الفهم الأرسطي، مع دمج في أساس النظرية، ولكن حتى النظرية الموضوعية لم تسلم من النقد^(٤٣)، ف((نظرية المواضع المشار إليها آنفاً، وهي المرحلة الأخيرة في النظرية، تريد أن تمد مفهوم حجاج العوامل الحجاجية على مجموع الجملة، قصد حسابات التسلسلات الممكنة. لذلك يصادر (أوزفالد ديكرو) على وجود مواضع في كل لسان من صنف))^(٤٤)، زيادة على ذلك، فتخلي (ديكرو) - في وقت سابق - عن مفهوم التوجيه الحجاجي؛ وذلك للنقد بعد النقد الذي وجه لها؛ إذ إن معنى الملفوظ لا يمكن تقيده بالحجاج؛ فالأخير لون منه؛ لأنّ دلالة الملفوظ سياقياً معاني تتعدى البعد الحجاجي و التوجيهي^(٤٥)، والتخلي عن التوجيه يعني تخلي عن مفهوم السلم الحجاجي؛ لأنّ المفهوم الأخير ((يرتبط ... بمفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي))^(٤٦)، ففضية السلمية الحجاجي ((لم تعد لها الأهمية الكبرى التي كانت لها من قبل... أو أنهما يشككان في ورود هذين المصطلحين، والأصح أنهما أعادا صياغتهما بشكل جذري، تدعيما للطابع البنيوي لنموذج الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو))^(٤٧).

إنّ هذه التطورات المتكاثرة أسهمت في إعاقة عملية تلقّي البّاحثين العرّب لهذه النظرية، فلا يكاد المتلقي العربي يتلقى النظرية بقراءتها الأولى حتى تأتي القراءة الثانية المعدلة، وهكذا ظل تلقّي البّاحثين العرّب لهذه النظرية يُعاني من هذه الاضطرابات المرافقة لها، والتي تُربك البنية المعرفية للمتلقي، مع إقرارنا بأنّ التطور من سُنّة العلوم والمعارف التطور، لكنّه حينما ينساق بصورة سريعة ومخيفة فهذا قد يؤدي إلى خلل منهجي معرفي في البنية المعرفية التي تُشكل لبّ النظرية، كما هو الحال في نظرية الحجاج في اللغة.

المطلب الرابع: صعوبة النظرية

ننتقل في عرض هذا العائق من فرضية مفادها: إنّ هناك صعوبة في نظرية الحجاج في اللغة فكراً ولغةً، وهذه الصعوبة تستلزم الإعاقة لفاعل التلقي.

إنّ المفهوم المتبادر للصعوبة هو الأمر الشديد الذي يقابل السهل^(٤٨)، فهو غير البديهي الذي يحتاج لإعمال الفكر؛ إذ المفاهيم تُقسم على بديهية وغير بديهية، وغير البديهية المتصفة بالصعوبة^(٤٩)،

زيادة على ذلك، فهو من المفاهيم الاعتبارية العامة الخاضعة للتغيير التي ليس لها وجود خارجي مستقل بذاته، فوجودها وجود اعتباري، فليس لدينا في الواقع الخارجي شيء اسمه صعب، أضف إلى ذلك فهي مُتَغَيَّرَةٌ بحسب سياق تداولها^(٥٠)، وعلى هذا نستنتج أن معيار الصعوبة هو عدم الأُنس والألفة مع الحقائق ونسبة البداهة، ومن ثم فإنَّ مفهومي الصعوبة والسهولة يتعرضان للتبدل، فالمفاهيم الصعبة قد تكون سهلة بالأُنس والتداول والتعاطي المستمر، فتكون غير البديهيةً بديهيةً بالتداول، ولكن لا يمكن أن يكون الشيء صعباً وسهلاً في الآن نفسه؛ إذ إنَّ مفهوم الصعوبة ليس له وجود خارجي؛ فهو ليس متعلق بحقائق الأشياء، بل بالمتلقّي والقارئ، وهو نسبيّ ومشكك؛ لنسبية الفهم؛ وهذا ما يدفعنا لتساءل: هل يكون النص صعباً وسهلاً في الآن نفسه؟ الإجابة تكون بالإيجاب إذا تعدد المتلقّي؛ فما قد يجده المتلقّي الأول صعباً، قد يجده الثاني سهلاً، وبالنفي إذا لزم الأفراد؛ عندما سيكون النصّ صعباً وسهلاً للقارئ نفسه؛ فهذا يلزم اجتماع النقيضين، وهو مستحيل؛ فهو قد فهم النص ولم يفهم، هذا يستلزم اجتماع الشيء ونقيضه، وهو مُمتنع، ولكن في غيره نعم.

إنَّ مفهوم الصعوبة من المفاهيم الكلية المشككة التي تتفاوت في انطباقها على مصاديقها^(٥١)، وصعوبة أي نظرية منبعاها فكر النظرية، أو اللغة التي كُتبت بها، ونظرية الحجاج في اللغة قد جمعت الصعوبتين، فهي ذات فكر معقد صعب، وهذا ما أشار إليه المتلقّي الأول للنظرية د. العزاوي بقوله: ((ومعلوم أن الحجاج اللغوي أصعب بكثير من أنماط الحجاج الأخرى، وأكثر منها دقةً وتدقيقاً ... فالحجاج اللغوي يرتبط باللغة الطبيعية، ونجده في كلِّ الظواهر اللغوية ... باختصار نجده في كلِّ شيء. إنَّه أعمُّ وأشملُّ من الحجاج البلاغي، والحجاج المنطقي، والحجاج التداولي الجدلي. الحجاج البلاغي مبحث جزئي، والحجاج اللغوي مبحث كلي وشمولي))^(٥٢)، فدلّيل د. العزاوي الأول على صعوبة النظرية هو دقة الحجاج في اللغة، وللباحث أن يتساءل عن مدى كون الدقة مستلزماً للصعوبة، إذ العكس هو الصحيح؛ لأنَّ الدقة تستلزم الوضوح والسهولة؛ فكلّما كانت المفاهيم دقيقة كانت واضحة. ودليل د. العزاوي الثاني على صعوبة النظرية ارتباطها باللغة الطبيعية، وهذا الربط غير متوجّه ولا يُمَثَّلُ علّة واقعية للصعوبة، بل العكس صحيح، زيادة على ذلك، فإنَّ بقية أنواع الحجاج مرتبطة باللغة الطبيعية أيضاً. وأمّا دليله الثالث، فهو وجود الحجاج في اللغة في كلِّ الظواهر! ومن قال أنه موجود في كلِّ الظواهر؟؛ فهو -على سبيل المثال- ليس موجوداً في الشعر غير الحجاج، أو الاستعارة غير

الحجاجية، أو الاستفهام غير الحجاجي، زيادة على ذلك، فإن وجوده في كل الظواهر لا يدل على صعوبته، بل العكس، إلا أن قولهم بأنه موجود في كل الظواهر يستلزم الصعوبة من باب مشتقة البحث عن شيء غير موجود. ودليله الرابع هو عمومية الحجاج في اللغة! فمن قال بأنه عام أصلاً؟ ثم هل العمومية تستلزم الصعوبة؟ أم العكس.

يرى الباحث أن صعوبة فكر النظرية مرجعه أنه غير متداول وغير بديهي، وعدم البدهية تستلزم إعمال الفكر، وإعمال الفكر يستلزم الصعوبة حتماً، والصعوبة نسبية تختلف من شخص لآخر، وذلك راجع للأنس بهذه الأفكار والتعاطي معها باستمرار.

من جانب آخر تكمن صعوبة النظرية في اللغة التقنية المعقدة التي يكتب بها أبحاثه، يقول د. العزاوي: ((هناك صعوبات أخرى مرتبطة باللغة التي يكتب بها ديكر، وهي لغة دقيقة وتغوص في التفاصيل والجزئيات الدقيقة بشكل عميق. وهو ما يفرض علينا بذل جهد كبير لفهم كلامه ومتابعته، قبل القيام بترجمته))^(٥٣). وأدلة د. العزاوي على صعوبة لغة النظرية من مثل الدقة، لا نجد لها دليلاً مقنعاً أو كافياً، وإذا ثبت أن لغته دقيقة، وهو غير ثابت، فهل الدقة تستلزم الصعوبة، أم تستلزم السهولة؟ فالدقة تعطي الأمور حقها من الوضوح والصواب. والدليل الثاني مرتبط بالغوص في التفاصيل، فمن قال أنه يغوص في التفاصيل؟ وإذا ثبت ذلك وهو غير ثابت، فمن قال أن الغوص في التفاصيل يستلزم الصعوبة، بل هو من لوازم السهولة.

رؤية الباحث أن صعوبة لغة النظرية تكون في غرابتها ووعورة ألفاظها وعدم انسجامها، واحتوائها على الرموز والألغاز، أمّا د. العزاوي فهو لم يأنس بهذه اللغة لذا وجدها غير مستساغة.

وللقارئ أن يتساءل: هل صعوبة نظرية الحجاج في اللغة فكراً ولغةً في نفسها أم عند غير المختصين؟ ويتضح الجواب من أن د. العزاوي وهو مختص بها، بل هو التلميذ البار لديكر، والذي قرأ جلّ كتبه، أضف إلى ذلك حضوره دروسه شطراً من الزمن، وله نقاشات مباشرة مع أستاذه، لكنه يقول ((وأعترف أنني أجد - أحياناً - صعوبة في قراءة بعض بحوث ديكر، وفهمها بشكلٍ دقيق، وأنا الذي لازمته فترة من الزمان، وقرأت معظم ما كتبه، وحضرتُ دروسه لمدة طويلة، وهو ما حصل لي مثلاً، عندما قرأت مقاله: (Argumentation et persuasion)، فقد قرأته مرتين، ووجدت صعوبة في متابعة تحليلاته الدقيقة، والدقيقة جداً. ونجد هذا أيضاً في بحوث ومقالات أخرى للمؤلف نفسه))^(٥٤)، بل أن د.

العزوي يواجه صعوبة في ترجمة النظرية للغة العربية إبان تكوينها الأول في كتاب ديكرو الموسوم: (ب) السليمان الحاجية؛ لأنَّ القسم الأعظم منه مُختص في عملية وصف الأدوات في اللغة الأم وهي اللغة الفرنسيَّة: *même presque ، assez un peu / peu*، وغير ذلك من العبارات التي تدلُّ على الكمِّ (Quantité)، فضلاً عن ذلك أنَّ (ديكرو) يُدقق في الفرق الدلاليِّ في تداول كلِّ أداة بلغة تقنيَّة صارمة، وهذا ما يؤدي إلى صعوبة في إيجاد المصطلح المقابل في اللسان العربي المضبوط المنسجم ودلالة هذه الأدوات، حتى أنَّ د. العزوي وجد بعض الأدوات التي ترجمها بمصطلح واحد؛ ولا سيَّما عندما تتعلق المسألة بإظهار الفرق الدقيق بينها، مُضافاً إلى ذلك اللغة التقنيَّة التي تُنقب في التفاصيل الدقيقة بطريقة عميقة جدًّا، التي ينماز بها ديكرو عن غيره؛ لذا صار لابدَّ من الاجتهاد والمثابرة العسيرة في سبيل ترجمة دقيقة للنظرية^(٥٥).

أضف إلى ما تقدّم؛ فالباحث يرى أنَّ صعوبة فكر النظرية تكمنُ في أنَّ المظاهر الحاجية تنسُم بالظهور والخفاء، والتقديم والتأخير؛ ف((الحُجَّة قد ترد في هذا الإطار على شكل قولٍ أو فقرةٍ أو نصٍّ، أو قد تكون مشهداً طبيعياً أو سلوكاً غير لفظيِّ))^(٥٦)؛ إذ تعتري ظاهرتا (الظهور والخفاء) و(التقديم والتأخير) الحُجَّة والنتيجة، بل حتى الرابط والعامل الحاجيِّ بسياق تخاطبيِّ خاص، فهذه المظاهر قد لا يتمُّ التصرّيح بها، وقد تتقدم بعضها على بعضٍ، وهذا ما يمثّل صعوبة لدى القارئ والمُتلقي في تحديدهما، واتسام المظاهر الحاجية بالظهور والخفاء، والتقديم والتأخير من شأنه إرباك المُتلقي في بحثه عن ظهور الحُجَّة اللغويَّة ونتيجتها من خفائهما، وتقديمهما من تأخيرهما، وهذا ينطبق على الروابط والعوامل الحاجية، وهذا الإرباك لون من ألوان الصعوبة، ما يدفعنا للقول: إنَّ النِّظام الذي يحكم المظاهر الحاجية نظامٌ مُتغيِّر وليس بثابتٍ، ومن شأن هذا التَّغير أن يولد الصعوبة، وجعلها عائقاً من عوائق التَّلقي.

المطلب الخامس: تخلي ديكرو عن نظريته

ننتقل في عرض هذا العائق من فرضية مفادها: إنَّ هناك تخلي واضح لصاحب النظرية عن نظريته، وهذا التخلي يستلزم الإعاقة لفعل التلقي.

تطرقنا في العائق الثالث إلى ظاهرة التعديل والتطوير في نظرية الحجاج في اللغة، وهذا العائق متمم للعائق الثالث؛ إذ إن كثرة التطورات والتعديلات أدت بصاحب النظرية إلى التخلي عن نظريته، فقد تراجع ديكرو عن نظريته، و ((لا توجد ... نظرية تراجع فيها أصحابها تراجع ديكرو في نظريته))^(٥٧)، وهذا التراجع نقله عنه غير واحد من الباحثين، فهذا تلميذ ديكرو النقيب د. العزاوي في سياق تقديمه لترجمة الكتاب الأول الذي عرضت فيه النظرية (السلميات الحجاجية) يؤكد قائلاً: ((وليطّلع الباحثون واللّسانيون العرب على أول ما كتبه ديكرو في مجال الحجاج: كيف بدأت نظرية الحجاج في اللغة؟ وكيف تطورت؟ وما هي أبرز معالمها ومراحلها؟ إلى أن نصل إلى المرحلة التي يُسميها ديكرو وماريون كاريل بنظرية الكتل الدالية (blocs sémantiques Théorie des)، والتي سيتخلى فيها هذان اللغويان عن مسألة المواضيع، أو المبادئ الحجاجية (Les topoi)، وأيضاً مسألة السلم الحجاجي ... وهو تراجع خطير من قبل (ديكرو). ولا يتفق معه في هذا أي أحد: لا يتفق معه زميله وتلميذه (جان كلود أنسكومبر)، ولا جلّ طلبته، وأنا واحد منهم، والفكرة هي أصلاً فكرة زوجته (ماريون ماريل))^(٥٨)، فالعزاوي يبيّن أنّ النظرية بدأت بمنهج محدد، ثمّ ما لبثت أن تطورت وتغيّرت ملامحها في مراحلها ونسخها المتعددة، حتى وصلت إلى نسخة زوجته وطلبته النجبية ماريون كاري وهي نظرية (الكتل الدالية)، وكان سبب هذا التخلي عن النسخة القديمة هو إشكالية مفهوم الموضوع، وما يُسببه من مشكلات في صلب النظرية؛ لأنّه يقع خارج اللغة، يقول ديكرو: ((إن النتيجة التي انتهت إليها بعد هذا التفكير في المواضيع هي أنّ أبحاثنا كانت تسير على غير هدى... لقد أخطأنا حين اعتقدنا أنّنا بصدد بيان كيفية تحقق الحجاج بواسطة الكلمات اللغوية و الأسباب الكامنة وراء ذلك. إنّ الذي تبين بالفعل وفق ما يظهر لي هو أن الحجاج بواسطة الكلمات إنّما هو مُحال من المُحالات، وأنّ الخطابات حتى إن كان من الدارج وصفها بصفة الحجاجية لا تربطها صلة قريبة أو بعيدة الذي يفهم من عبارة الحجاج. (وتبيّن أيضاً أن الحجاج ما هو إلا سراب). لقد درج البعض على قول أنّ الخطاب الذي يسري في الحياة اليومية لا يمكنه أن ينشئ براهين... هذا ما صرح به أرسطو حين جعل البرهان الضروري ينماز به عن القياس، في مقابل الحجاج المخروم ذو الطابع الاحتمالي فقط. لقد كنا نرى في البدء سلوك هذا المسلك عاقدين العزم على أن نحلّ في اللغة الحجاج مكان البرهان، باعتبار ذلك من الضروريات، وقد وقع في اعتقادنا أنّنا قد عثرنا على علة الخاصية الخطابية أو علامتها أو - بتعبيرنا

الخاصية الحجاجية للخطاب - في كلمات اللسان، لكن الذي يعن لي أننا انتهينا اليوم إلى قول أبعد من ذلك، فليست الكلمات عاجزة عن إنجاز البرهان فقط، بل هي كذلك قلما تسمح بتلك الصورة المتدرجة للبرهنة المسماة حجاجاً. فهذه الأخيرة ما هي إلا حلم من أحلام الخطاب، و نظريتنا ينبغي بالأحرى أن ترسم بـ (نظرية اللا حجاج) ((^{٥٩})، فنظرية الحجاج في اللغة التي حاولت إثبات فرضية البعد الحجاجي في بنية اللغة أصبحت حلماً من أحلام الخطاب، وغدت وهماً وسراباً؛ ذلك أن النظرية تكونت بتأثير تيارات متنازعة، وهذا ما ألقى بظلاله عليها، فـ (ديكرو) كان يحاول الحفاظ على النسق البنيوي لنظريته، ولكنّه عجز عنها؛ ((لأن معطيات الواقع الخارجي دائماً كانت تحضر بصورة أو بأخرى في صلب الدراسات التي قام بها (ديكرو)، هذا الأخير الذي حاول في أواخر أبحاثه أن يقيم ميّزاً بين الحجاج الخطابي والحجاج اللساني، في محاولة أخرى جادة إلى تحول الحجاج اللساني إلى بحث دلالي خالص ينهج نهج سوسير في التزامه الصارم بالمنظور البنيوي)) ((^{٦٠})، فكلّ تعديلات النظرية لم تُفلح، ومع كثرة نقد النظرية من أصحابها، اقتنع (ديكرو) بالأمر الواقع؛ بأن الحجاج في اللغة سرابٌ ووهْمٌ، لكن هذا النهج الذي نهجه، والتراجع الموصوف بالخطير لم يجد قبولاً عند بعض تلاميذه كـ(أنسكومبر)، زيادة على ذلك، د. العزاوي، فالأول شق لنفسه نظريةً أصطلح عليها بـ (نظرية التتميطات)، في حين طوّر الثاني النظرية ووسّع مجال اشتغالها مُصطلحاً عليها بـ (نظرية الحجاج الموسع).

الْخَاتِمَةُ:

❖ أماط البحث اللّثام عن أصلين معرفيّين ترجع لهما نظرية الحجاج في اللغة، الأول هو الأصل الحسيّ، فنظرية الحجاج في اللغة تتطلب مُتكلمًا ومُتلقيًا يدخلنا في عملية حجاجية عن طريق اللغة الاستعمالية المُتداولة في الحياة اليومية، فاللغة ظاهرة اجتماعية ونفسية محسوسة، وهذا يفضي إلى السمع والبصر والتكلم. أمّا الأصل الثّاني، فهو العقليّ؛ لأنّ المتكلم يُعبر عن رؤيته وفهمه وإدراكه لصورة العالم، وهذا جانب عقلي مُرتبط بالفعاليات العقلية.

❖ فلاسفة اللغة العادية - غالباً - ما يحاولون تحليل اللغة؛ بغية فهم العالم الحسي لا المجرد؛ لأنّ الحقيقة هي التي تقدم معرفة محسوسة للعالم، وبذلك أنكروا العالم المجرد، فهم يرون علاقة اللغة بالعقل

علاقة ماديّة مرتبطة بالخلايا والأعصاب. فاللغة موضوع مشترك بين فلسفة اللغة ونظريّة الحجاج في اللغة، فكلاهما يدرس اللغة المستعملة باعتبارها موضوعاً لها.

❖ تغيّر موضوع الفلسفة، فإذا كانت الفلسفة المطلقة تبحث عن الوجود من أجل إدراك الحقيقة، فلسفة اللغة تبحث عن اللغة العادية اليومية من أجل إدراك الحقيقة، وهذا التصور الجديد في فهم موضوع الفلسفة من الوجود إلى اللغة، ومن ثمّ إلى اللغة العادية يؤدي إلى إشكال معرفي، فاللغة العادية هي التي ستُعبّر عن الواقع المُعبّر عنه بالحقيقة، وهذا تصور مرجوح؛ فالواقع أوسع وأشمل من دائرة اللغة.

❖ التعبير باللّغة العادية عن الحقيقة سيفضي إلى تعبير المجتمع العادي عن الحقيقة أيضاً، بل سيكون مصدرًا لها؛ لأنّه هو من يستعملها، وهذا ما تسعى إليها الفلسفة الحديثة بالاشتغال عليه والتنظير له؛ وذلك نتيجة البُعد المادي والمزاج الفردي؛ في سعيها لهدم البُعد الميتافيزيقي الماورائي، وهذا سيفضي لضرب الأخلاق والدين والفلسفة المطلقة، وهذه الفلسفة خالية من المعنى؛ لذا استبعدتها فلاسفة التحليل في ضوء الفلسفة التحليلية التي يتبنونها.

❖ أثبت البحث أنّ الأصل المعرفي لنظريّة الحجاج في اللغة قد مثّل عائناً معرفياً يُعيق فعل التلقّي.

❖ التواصل اللسانيّ القائم على المغالطات بكلّ تشكّلاتها قام موضوعاً للحجاج؛ إذ كان للمغالطات الأثر الكبير في فعل الإقناع المتمثل بالحجاج؛ لأنّ الحجاج في حقيقته غير قائم على المنطق والحقيقة؛ إذ إنّهُ يعتمد على معايير جدليّة، فالقيمة التأثيرية والتسليم والإذعان بالحجج المعروضة من قبل المتكلم هي المعيار في قوة الحجاج وليست الحقيقة، والحجاج لا يدعو إلى الحقيقة، بل إلى الوهم والاحتمال؛ لذا كان لابدّ من مقارنة القبول بالحجج، وأسس هذا القبول مقارنة معرفية؛ ذلك أنّ المتلقي يقبل بعض الحجج، ويرفض بعضها، وعملية قبولها ورفضها قائم على منطق إقناعي يؤثر على سلامة فكره وقواه النفسية من تأثر هذه الآليات التي توهمه، وتجعله يُسائر الأوهام.

❖ كشف البحث أنّ القيمة المعرفيّة لنظريّة الحجاج في اللغة قد مثّلت عائناً معرفياً يُعيق عمليّة التلقّي، إذ إنّ النظريّة كلّما اقتربت من اليقين زادت قيمتها المعرفيّة، والعكس صحيح. لقد تمثّل تراجع القيمة المعرفيّة لهذه النظريّة عائناً من العوائق التي تُعيق المتلقي العربي في تعاطيه مع نظريّة يشوبها إشكال في قيمتها المعرفيّة؛ ولا سيّما أنّ المتلقّي العربيّ ذو بنية معرفيّة تتسم بالقيم العقليّة - المنطقيّة الفلسفيّة -، التي من شأنها أن تُزيح كلّ نظريّة تتعارض وقيمها المعرفيّة؛ وأنّ حالة الاستعداد لدى

المُتَلَقِّي العربي لتقبل النظرية منوط بالاستجابة التي تظهر في تعاطيه مع ما تحكي عنه النظرية، وإيمانه بالقيمة المعرفية لها، وحصول الاستجابة غير ممكن إلا بشرط إدراك المتلقي لأهمية النظرية ودورها الريادي في المعرفة اللسانية، مع إقراره بقيمتها المعرفية، وعظيم أثرها في إمطة اللثام عن الحقيقة، الكاشفة عن الواقع، والجايلة للحجاج قيمة في سبر قيم التواصل الإنساني المنتج للحقيقة.

❖ إنَّ التطورات المتكاثرة لنظرية الحجاج في اللغة قد أسهمت في إعاقة عملية تَلَقِّي البَاحِثِينَ العَرَبِ لها، فلا يكاد المتلقي العربي يتلقى النظرية بقراءتها الأولى حتى تأتي القراءة الثانية المعدلة، وهكذا ظل تَلَقِّي البَاحِثِينَ العَرَبِ لهذه النظرية يُعاني من هذه الاضطرابات المُرافقة لها، والتي تُربك البنية المعرفية للمتلقي، مع إقرارنا بأنَّ التطور من سُنَّة العلوم والمعارف التطور، لكنَّه حينما ينساق بصورة سريعة ومخيفة فهذا قد يؤدي إلى خلل منهجي معرفي في البنية المعرفية التي تُشكل لبَّ النظرية، كما هو الحال في نظرية الحجاج في اللغة.

❖ وصل البحث إلى أن تخلي ديكرود عن نظرية الحجاج في اللغة قد مثَّل عائقًا يُعيق التَلَقِّي.

❖ إنَّ النِّظامَ الَّذِي يحكم المظاهر الحجاجية نظامًا مُتغيِّرًا وليس بثابت، ومن شأن هذا التغيّر أن يولد الصعوبة، وجعلها عائقًا من عوائق التَلَقِّي.

الهوامش:

(١) يُنظر: نظرية المعرفة مقدمة معاصرة: صلاح إسماعيل، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، ٢٠٢٠م، ١٦ - ٢١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ٢١.

(٣) دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي: د. أحمد عبد الحميد عبد الحميد، عالم الفكر، العدد: ١٨٢، أبريل - يونيو، ٢٠٢٠م، ٤٠.

(٤) الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرود: رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٤، العدد ١، ٢٠٠٥م، ٢١٠.

(٥) التداولية عند علماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: د. مسعود صحراوي، ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م، ٢٠.

(٦) يُنظر: المنعطف اللغوي في القرن العشرين أثره في دراسة التأريخ وعلاقته بفهم المؤرخ الإسلام قبل العصر الحديث لطبيعة اللغة ودورها: عمرو عثمان، مجلة تبين، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ٢٠٢١م. ١٢٧ - ١٢٨.

- (٧) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران رشوان، ط. ٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م، ١٧٧ - ١٧٨.
- (٨) الحجاجيات اللسانية، ٢١٠.
- (٩) التداولية عند علماء العرب، ٢١.
- (١٠) الفلسفة التحليلية وأثرها في المعرفة الدينية: مصطفى عزي، مجلة الدليل، السنة الثالثة، العدد: ٤، ٢٠٢٠م، ١٤٥.
- (١١) التداولية عند علماء العرب، ٢١.
- (١٢) أسس الفلسفة: د. توفيق الطويل، ط. ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ٢٠٣.
- (١٣) يُنظر: التداولية عند العرب، ٥.
- (١٤) جدل حول الخطابة والحجاج: د. عبد الرزاق بنّور، دار العربية للكتاب، ٢٠٠٨م، ٨٤.
- (١٥) الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي: زينة بن لحرش، مجلة الإحياء، المجلد ٢٢، العدد ٣١، جوان ٢٠٢٢م، ٥٩٠.
- (١٦) يُنظر: اللُغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، ط ١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٦م، ١٥ - ١٦.
- (١٧) يُنظر: الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي، ٥٩٠.
- (١٨) يُنظر: السُّلميات الحجاجية السُّلميات الحجاجية: أرفالد ديكر، ترجمة وتقديم: د. أبو بكر العزاوي، ط ١، مطبعة وراقة بلال، فاس - المغرب، ٢٠٢٠م، ٥٥.
- (١٩) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، ط ٢، دار الفارابي في بيروت - لبنان، ودار المعرفة للنشر في الجمهورية التونسية، وكلية الآداب والفنون الإنسانية تونس منوبة، ٢٠٠٧م، ٤١.
- (٢٠) اللغة والحجاج، ١٦.
- (٢١) يُنظر: السُّلميات الحجاجية، ١١ - ١٢.
- (٢٢) يُنظر: المصدر نفسه، ١١.
- (٢٣) يُنظر: المنهج الجديد في تعليم الفلسفة: محمد تقي مصباح اليزدي (ت ١٤٤٢هـ)، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م، ١ / ٢٣٠.
- (٢٤) نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد باقر الصدر: د. عائشة بنت يوسف المناعي، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ١٨، قطر، ٢٠٠٠م، ٢٨٤.
- (٢٥) نهاية الحكمة: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، تصحيح: غلام رضا فياضي، ط ٤، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، مطبعة ظهور، ١٣٨٦هـ، ١٨..

- (٢٦) يُنظر: مصطلح اليقين: د. كاظم المالكي، مجلة الدليل، العدد: ٢، السنة الأولى، ٢٠١٨م، ٨٠.
- (٢٧) مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية عند لأنكسومبر وديكرو: رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر المجلد ٤٠، العدد ٢، ملف الحجاج، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠١١م، ٢٢٤.
- (٢٨) الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعريّ معاصر: أبو بكر العزاوي، دراسات سميائية لسانية، العدد ٧، ١ ديسمبر ١٩٩٢م، ١٠١.
- (٢٩) اللغة والحجاج، ٢٠.
- (٣٠) المصدر نفسه، ١٤ - ١٥.
- (٣١) يُنظر: المصدر نفسه، ١٥. ويُنظر: نظريات الحجاج: د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، ٣٤.
- (٣٢) التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، دمشق - سوريا، ٢٠٠٨م، ٥٠.
- (٣٣) الحجاج في التواصل: فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة - مصر، ٢٠١٣، ٣٤.
- (٣٤) يُنظر: نظريات الحجاج، ٧٢.
- (٣٥) نظرية الحجاج في اللغة: شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، بإشراف: حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٩٩م، ٣٨٣.
- (٣٦) يُنظر: جدل حول الخطابة والحجاج، ٨٤.
- (٣٧) يُنظر: التداولية والحجاج مدخل ونصوص، ٢٤.
- (٣٨) جدل حول الخطابة والحجاج، ٨٨.
- (٣٩) الحجاجيات اللسانية، ٢١٤.
- (٤٠) يُنظر: جدل حول الخطابة والحجاج، ٨٤.
- (٤١) يُنظر: الحجاج والشعر، ١١٤. ويُنظر: اللغة والحجاج، ١٨.
- (٤٢) جدل حول الخطابة والحجاج، ٨٧.
- (٤٣) يُنظر: تسجيل الحجاج في اللغة حالة نظرية التكتل الدلالي: كوهي كيدا، ترجمة: د. إبراهيم أمغار، د ط، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، ٢٠١٩، ٢.
- (٤٤) التداولية والحجاج مدخل ونصوص، ٢٠.
- (٤٥) يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ٣٦.

- (٤٦) اللغة والحجاج، ٢٥.
- (٤٧) السلميات الحجاجية، ١٦- ١٧.
- (٤٨) يُنظر: لسان العرب: ابن منظور الأفريقي (ت١٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م، مادة (فهم)، ١/٥٢٣.
- (٤٩) يُنظر: المنطق الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٢هـ)، ط١، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ١٧.
- (٥٠) يُنظر: أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: محمد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عمار أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٨م / ١/٥٦٩.
- (٥١) يُنظر: المنطق: ٧١.
- (٥٢) السلميات الحجاجية: ٣٥.
- (٥٣) المصدر نفسه، ٣١.
- (٥٤) المصدر نفسه، ٣٤.
- (٥٥) يُنظر: المصدر نفسه، ٣١.
- (٥٦) المصدر نفسه، ١٨.
- (٥٧) جدل حول الخطابة والحجاج، ٨٨.
- (٥٨) السلميات الحجاجية، ١٦- ١٧.
- (٥٩) مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، ٢٢٤.
- (٦٠) التطورات الجديدة في الحجاجيات اللسانية نظرية الكتل الدلالية: بنيونس عليوي، شبكة الألوكة، ٥.

المصادر والمراجع:

- ❖ أسس الفلسفة: د. توفيق الطويل، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ❖ أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: محمد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عمار أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٨م.
- ❖ التداولية عند علماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: د. مسعود صحرأوي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.
- ❖ التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشنة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، دمشق - سوريا، ٢٠٠٨م.
- ❖ تسجيل الحجاج في اللغة حالة نظرية التكتل الدلالي: كوهي كيدا، ترجمة: د. إبراهيم أمغار، د ط، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، ٢٠١٩.

- ❖ التطورات الجديدة في الحجاجيات اللسانية نظريّة الكتل الدلالية: بنيونس عليوي، شبكة الألوكة.
- ❖ جدل حول الخطابة والحجاج: د. عبد الرزاق بنّور، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨م.
- ❖ الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي: زينة بن لحرش، مجلة الإحياء، المجلد ٢٢، العدد ٣١، جوان ٢٠٢٢م.
- ❖ الحجاج في التواصل: فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة - مصر، ٢٠١٣م.
- ❖ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، ط٢، دار الفارابي في بيروت - لبنان، ودار المعرفة للنشر في الجمهورية التونسية، وكلية الآداب والفنون الإنسانية تونس منوبة، ٢٠٠٧م.
- ❖ الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعريّ معاصر: أبو بكر العزاوي، دراسات سمائيّة لسانيّة، العدد ٧، ١ ديسمبر ١٩٩٢م.
- ❖ الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٤، العدد ١، ٢٠٠٥م.
- ❖ دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي: د. أحمد عبد الحميد عبد الحميد، عالم الفكر، العدد: ١٨٢، أبريل - يونيو، ٢٠٢٠م.
- ❖ السُّلميات الحجاجية السُّلميات الحجاجية: أرفالد ديكرو، ترجمة وتقديم: د. أبو بكر العزاوي، ط١، مطبعة وراقة بلال، فاس - المغرب، ٢٠٢٠م.
- ❖ الفلسفة التحليلية وأثرها في المعرفة الدينية: مصطفى عزيزي، مجلة الدليل، السنة الثالثة، العدد: ٤، ٢٠٢٠م.
- ❖ لسان العرب: ابن منظور الأفرقي (ت١١٧١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.
- ❖ اللُّغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٦م.
- ❖ مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران رشوان، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م.
- ❖ مصطلح اليقين: د. كاظم المالكي، مجلة الدليل، العدد: ٢، السنة الأولى، ٢٠١٨م.
- ❖ مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية عند لأنكسومبر وديكرو: رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر المجلد ٤٠، العدد ٢، ملف الحجاج، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠١١م.
- ❖ المنطق الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٢هـ)، ط١، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.
- ❖ المنعطف اللغوي في القرن العشرين أثره في دراسة التأريخ وعلاقته بفهم المؤرخ الإسلام قبل العصر الحديث لطبيعة اللغة ودورها: عمرو عثمان، مجلة تبين، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ٢٠٢١م.
- ❖ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة: محمد تقي مصباح اليزدي (ت١٤٤٢هـ)، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار المعارف للطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م.

- ❖ نظريات الحجاج: د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة.
- ❖ نظرية الحجاج في اللّغة: شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، بإشراف: حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٩٩م.
- ❖ نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد باقر الصدر: د. عائشة بنت يوسف المناعي، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ١٨، قطر، ٢٠٠٠م.
- ❖ نظرية المعرفة مقدمة معاصرة: صلاح إسماعيل، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، ٢٠٢٠م.
- ❖ نهاية الحكمة: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، تصحيح: غلام رضا فياضي، ط٤، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، مطبعة ظهور، ١٣٨٦هـ.

❖ List of sources and references

- ❖ Foundations of Philosophy: Dr. Tawfiq Al-Taweel, 3rd Edition, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1958.
- ❖ The origins of philosophy and the realistic method: Mohamed Hussein Tabatabai (d. 1412 AH), presented and commented by: Murtada Mazhari, translated by: Ammar Abu Ragheef, um Al-Qura Foundation for Investigation and Publishing, 1418 AD.
- ❖ Pragmatics among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of Verbal Acts in the Arabic Linguistic Heritage: Dr. Masoud Sahraoui, 1st Edition, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 2005.
- ❖ Deliberative and Hajjaj: Entrances and Texts: Saber Al-Habasha, 1st Edition, Pages for Studies and Publishing, Damascus - Syria, 2008.
- ❖ Registration of pilgrims in the language The Case of Semantic Agglomeration Theory: Kohei Kida, translated by: Dr. Ibrahim Amghar, Dr. I, Afkar Center for Studies and Research, 2019.
- ❖ New developments in linguistic arguments Semantic Mass Theory: Benyounes Aliwi, Aloka Network.

- ❖ Controversy over Public Speaking and Pilgrims: Dr. Abdul Razzaq Bennour, Arabic Book House, 2008.
- ❖ The Linguistic Pilgrims of Abu Bakr Al-Azzawi: Zeina bin Lahrash, Journal of Biology, Volume 22, Issue 31, June 2022 AD.
- ❖ Al-Hajjaj in Communication: Philip Bruton, translated by: Mohamed Meshbal and Abdel Wahed Al-Tohamy Alami, 1st Edition, Egyptian General Book Organization, Cairo - Egypt, 2013.
- ❖ Al-Hajjaj in the Qur'an through its most important stylistic characteristics: Abdel Allah Souleh, 2nd Edition, Dar Al-Farabi in Beirut - Lebanon, Dar Al-Marefa for Publishing in the Republic of Tunisia, and the Faculty of Letters and Humanities Tunisia Manouba, 2007.
- ❖ Al-Hajjaj and Poetry, Towards a Pilgrim Analysis of a Contemporary Poetic Text: Abu Bakr Al-Azzawi, Linguistic Semiotic Studies, No. 7, December 1, 1992.
- ❖ Linguistic arguments according to Anscomber and Decroux: Rashid Al-Radi, Alam Al-Fikr Magazine, Vol. 34, No. 1, 2005.
- ❖ A study of the argumentative discourse from the perspective of deliberative controversy: Dr. Ahmed Abdel Hamid Abdel Hamid, the world of thought, issue: 182, April-June, 2020.
- ❖ Pilgrim Pacifisms Pilgrim Pacifism: Azvald Decroux, translated and presented by: Dr. Abu Bakr Al-Azzawi, 1st Edition, Warqa Bilal Press, Fez-Morocco, 2020.
- ❖ Analytic Philosophy and its Impact on Religious Knowledge: Mustafa Azizi, Al-Daleel Magazine, Third Year, Issue: 4, 2020.
- ❖ Lisan al-Arab: Ibn Manzur al-Afriqi (d. 711 AH), 1st Edition, Dar Sader, Beirut - Lebanon, 2000 AD.
- ❖ Language and Pilgrims: Abu Bakr Al-Azzawi, 1st Edition, Al-Omda in Printing, Casablanca - Morocco, 2006 AD.

- ❖ Introduction to the Study of Contemporary Philosophy: Dr. Mohamed Mahran Rashwan, 2nd Edition, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo, 2017.
- ❖ The term certainty: Dr. Kazem Al-Maliki, Al-Daleel Magazine, Issue: 2, First Year, 2018.
- ❖ The concept of position and its applications in linguistic arguments according to Anksumber and Decro: Rashid Radi, Alam Al-Fikr Magazine, Volume 40, Issue 2, Al-Hajjaj File, October-December, 2011.
- ❖ Logic Sheikh Mohamed Reda Al-Muzaffar (d. 1382 AH), 1st Edition, Al-Rafid Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Iraq.
- ❖ The linguistic turn in the twentieth century: its impact on the study of history and its relationship to the understanding of the Islamic historian before the modern era of the nature of language and its role: Amr Othman, Tebeen Magazine, Issue 38, Volume 10, 2021 AD.
- ❖ The New Curriculum in Teaching Philosophy: Mohamed Taqi Mesbah Al-Yazdi (d. 1442 AH), translated by: Mohamed Abdel Moneim Al-Khaqani, Dar Al-Maaref Publications, Beirut – Lebanon, 2007 AD.
- ❖ Theories of pilgrims: Dr. Jamil Hamdaoui, Aloka Network.
- ❖ Al-Hajjaj's Theory of Language: Shukri Al-Mabkhout, research published in the book: (The most important theories of pilgrims in the Western tradition from Aristotle to today), under the supervision of: Hammadi Samoud, Publications of the University of Letters, Arts and Humanities, Faculty of Arts Manouba, Tunisia, Official Press of the Republic of Tunisia, 1999.
- ❖ Epistemology in the Philosophy of the Martyr Baqir Al-Sadr: Dr. Aisha bint Yusuf Al-Mannai, College of Sharia, Law and Islamic Studies, University of Qatar, No. 18, Qatar, 2000.
- ❖ Epistemology: Contemporary Introduction: Salah Ismail, 1st Edition, Egyptian-Lebanese House, Cairo – Egypt, 2020.

- ❖ The End of Wisdom: The scholar Mohamed Hussein Tabatabai (d. 1412 AH), edited by: Gholamreza Fayyadi, 4th Edition, Imam Khomeini Educational and Research Foundation, Zuhur Press, 1386 AH.

